



وظيفية الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في النضال الثقافي للحركة الوطنية  
(1954-1946)

*The functionality of The French Language Algerian novel in the cultural struggle  
of the National movement  
(1946-1954)*

نفود يوسف  
جامعة الجيلالي بونعامة / خميس مليانة  
yguenfoud@univ-dbk.m.dz

بن عمار مصطفى  
جامعة زيان عاشور / الجلفة  
benammar05mustapha@gmail.com

المرسل: بن عمار مصطفى

النشر: 06-10-2022

القبول: 17-09-2022

الإرسال: 30-08-2022

## ملخص:

تُعدّ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من الألوان الأدبية التي لا جدال في أهميتها الفكرية والاجتماعية والفنية في الحركة الوطنية، فبالرغم من أنها كانت من المواضيع الشائكة في الكتابات الأدبية الحديثة من حيث التشكيك في شرعيتها وانتمائها الوطني، إلا أنها شكّلت ظاهرة ثقافية متميزة ضمن أدب المقاومة، حملت أمانة الثورة من خلال أعمال متميزة خطّت لأدب جزائري خاص يشجب السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، قاده مجموعة من الكُتّاب البارزين الذين ساهموا في إثراء الإنتاج الأدبي الجزائري.

أسّس هذا النوع من الرواية لنفسه مرآة تعكس نفسها، خصوصا بعد مأساة الثامن ماي 1945م، حيث انتقلت إلى شكل مغاير يدعو إلى الثورة بدل الإدماج، وأصبحت عاملا حاسما في بلورة القضية الوطنية في صراعها المستمر مع الاستعمار، باقتراب الأعمال الروائية من البعد العميق في الهوية الجزائرية التي ظلّت طي النسيان، كما كانت من بواذر الثورة على تقاليد جامدة في وجه تقدّم المجتمع، حيث تضمّنت تراكما ثقافيا يهدف إلى إصلاح التشوهات التي أصابت المجتمع الجزائري، ممّا أكسبها قيمتها الإعلامية والدعائية.

الكلمات المفتاحية: الرواية المكتوبة بالفرنسية، الروايات، الأدب، الثقافية، الجزائريين، الوطنية.

**Abstract:**

*The French Language Algerian novel is considered as one of the the literature genres that has a significant importance in the political struggles in National movement. That cultural phenomenon was part of resistance literature despite being subject to questioning its ligitimacy and doubting its loyalty. Through the stunning work of their famous writers, The French Language Algerian novel set bases for a pure Algerian literature that denounced French oppression.*

*After the massacres of May 8 th, 1945, French language novel has changed its course of struggling from assimilation to militancy, and became a determing factor in the Algerian fight against french colonisation. This literature form was served as a vehicle for defending Algerian identity and restoring a viable society.*

**Keywords:** The French language Algerian novel, novels, literature, cultural, Algerians, National.

عرفت الحياة الأدبية بالجزائر حركية نشطة منذ سنة 1946م، سيما في الرواية المكتوبة بالفرنسية، فقد مثلت هذه الأخيرة أحد الروافد الأساسية للحياة الأدبية والفكرية في الجزائر، لكونها عبّرت عن حيوية النضال الثقافي للألوان الأدبية في الحركة الوطنية، بأعمال فنية متميزة لامست جوهر الحقيقة، وكانت شاهدة على حالة الاستلاب الثقافي وقسوة الحياة زمن الاحتلال الفرنسي.

تولدت هذه الأعمال —كما تشير المصادر المختلفة— نتيجة حالة الاحتجاج والانفجار بعد أحداث الثامن ماي 1945م، فلعلّ أجمل ما أبدعه الروائيون الجزائريون باللسان الفرنسي ينحصر في الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية الثانية واندلاع الثورة التحريرية، حين أوجدت النصوص الروائية واقعا اجتماعيا جديدا، انطلاقا من رؤية خاصة حاولت أن تجمع بين الخطاب المكتوب والمقروء والوعي الجماعي، وكانت نتيجة رغبة في التعريف بصورة الواقع المعاش في الجزائر، واستهدفت التصدي للمشروع التغريبي الاستعماري، والمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية. فما وظيفية الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية في النضال الثقافي للحركة الوطنية بعد هذه الفترة؟

### 1- تطور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية إلى غاية سنة 1946م:

تعدّ الرواية من الألوان الأدبية الراقية التي تغوص في المجتمع لمعالجة مختلف القضايا والمشاكل التي تدور فيه، وقد أدّت دورا كبيرا في مقاومة الاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى دورها في تثقيف الشعب الجزائري وربطها بمبادئه الوطنية وخصوصيته الاجتماعية والثقافية، كما عملت أيضا على التعريف بالقضية الجزائرية داخل الوطن وخارجه.

والرواية وعاءٌ فنيٌّ وأدبيٌّ مختلف الأجناس الأدبية، تروي بالكتابة وتُصوّر آلام الشعب وأماله، وهو ما أشار إليه محمد ديب بقوله: "لأننا نعيش مأساة مشتركة، ونحن أطراف في تلك المأساة... يبدو لنا أنّ ثمة عقد يربطنا بشعبنا ونستطيع أن نسمّي أنفسنا كُتّابه العموميين، علينا أن نلتفت نحوه قبل كلّ شيء... لنلتفت بعد ذلك نحو العالم"<sup>(1)</sup>.

شاءت الظروف أن تولد الرواية في مرحلة الاستعمار الفرنسي، الذي اتّخذ من سياسة التّجنيس والإدماج وقتل العربية وسيلة لطمس الهوية الجزائرية والإسلامية، إلى أن نجحت إدارة الاحتلال إلى حدّ ما في إنشاء جيل متشبع بالقيم والثقافة الفرنسية، اتّخذ من اللغة الفرنسية بديلا عن اللغة الأم من خلال مجموعة من الكتابات الأدبية ومنها الرواية، وهنا يبدو أنّ الرواية المكتوبة باللغة العربية تكاد تكون معدومة بعد الحرب العالمية الثانية، بسبب اهتمام الكُتّاب الجزائريين المعرّبين بأصناف أدبية أخرى كالشعر والقصة والمقالة الأدبية، وهو ما أشار إليه سعد الله بالقول: "... تميّزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بظاهرتين أدبيتين: الأولى سيطرة الشعر على الإنتاج بالعربية وظهور بذور الرواية والقصة القصيرة بالعربية أيضا، والثانية ظهور بذور الرواية الجزائرية بالفرنسية"<sup>(2)</sup>.

وتعود أسباب انعدام الرواية باللغة العربية إلى سياسة إدارة الاحتلال الفرنسية، التي حاربت اللغة العربية وجعلتها غريبة في موطنها، وإلى الأمية المنتشرة بين أغلب الجزائريين وجهلهم اللغة العربية الفصحى<sup>(3)</sup>.

يُجمع أغلب الدارسين للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أن التعبير الذي كان سائدًا فيه هو الرواية، وتشير مختلف الدراسات أن بواكير الرواية الجزائرية كانت بلغة المستعمر<sup>(4)</sup>؛ وأن الرواية الجزائرية الناطقة بالفرنسية ظهرت مع نهاية القرن 19م على يد محمد بن رحال، من خلال روايته "نأر الشيخ" سنة 1891م، و"رواية أشياء الجزائر" في نفس السنة، وهو من الكتاب الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة مع كل من الحاج حمو عبد القادر<sup>(5)</sup> وشكري خوجة حسن، فهم من رواد الرواية في الجزائر الذين حاولوا وضع صورة الجزائري أمام العالم، ونقل حياة الحرمان والبؤس والشقاء من جرّاء السياسة الاستعمارية الغاشمة<sup>(6)</sup>.

لم تلق الرواية الجزائرية حظًا في هذه الفترة، وكانت معظم الروايات مقتبسة من الأدب القومي الجزائري، أو من ألف ليلة وليلة، وعُرضت في شكل مسرحيات، مثل "رواية عائشة بوزبايل" وهي رواية مقتبسة من الأدب القومي الجزائري موضوعها خيالي محض ليس فيه أصل تاريخي يرجع إليه فيها، ولكنه ممّا تحفظه العامة من موضوعها<sup>(7)</sup>.

الملاحظ في تاريخ الرواية المكتوبة بالفرنسية أنها جاءت متأخرة، وكانت الظروف السياسية التي عرفتها الجزائر سببا في تأخرها، بالإضافة إلى أن الأدباء الجزائريين لم يكونوا يؤمنون بعمق رسالتهم الأدبية، ولهذا كانوا لا يكتبون ولا ينتجون<sup>(8)</sup>، وهو ما ذهب إليه مولود قاسم، الذي يرجع سبب انكماش الأدب الجزائري إلى عدم إحساس الأدباء بشخصيتهم وقلة ثقتهم بأنفسهم، بملكاتهم وعبقريتهم الوطنية، لاعتقادهم أن كل ما يأتيهم من الشرق أو الغرب جيد ومفيد ويستحق الاهتمام وصرف المادة والوقت والجهد العقلي، وأن كل ما يُصنع بأيديهم ناقص وعلى درجة ثانية من الأهمية<sup>(9)</sup>، لكن مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى منحهم الكثير من الامتيازات وسمحت لهم بإنتاج نصوص سردية كثيرة، ومن أهم الأعمال الروائية المنتجة في الفترة ما بين 1920-1930م رواية "أحمد بن مصطفى القومي" عام 1920م لصاحبها "القايد بن شريف"<sup>(10)</sup>، تلتها محادثة روائية لعبد القادر الحاج حمو هي "زهرة زوجة عامل المنجم" سنة 1925م، ورواية "راقصة أولاد نايل" التي كتبها "سليمان إبراهيم" مشاركة مع "إيتيان دينيه".

ظهر من كتابات أولئك الروائيين أنهم متشبعين بالثقافة الفرنسية، ويشعرون بالامتنان لفرنسا، وهو ما أفصح عنه الروائي "رابح الزناتي" في رواية "بولنوار الشاب الجزائري" بقوله: "من حظّ الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة هي المعلمة، فمعها تمكّن الجزائري أن يخطو خطوات أعمق"<sup>(11)</sup>.

في المقابل نجد بعض الأقلام الروائية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية تبحث عن انتمائها الوطني وهويتها الضائعة، بدأت في الظهور في الثلاثينات من القرن العشرين، ومن أهم الأعمال التي تناولت ذلك نجد

روايتي "مريم في السعف"، و"عذراء الدوّار" لمحمد ولد الشيخ، نُشرت الأولى في وهران سنة 1936م وعالجت قضية إرضاء دعاة التقارب بين الجزائريين والمعمّرين، أمّا الرواية الثانية فلم تُنشر. كما اقتحمت النساء في هذه الفترة مجال الرواية من خلال روايتي "ليلي فتاة جزائرية" و"عزيزة" لجميلة الدبش (12)، وكل هذه الروايات في العموم عالجت قضايا اجتماعية وثقافية، وبالأخص قضايا الزواج وضرورة تعليم البنات وتثقيفها مثلما هو الحال مع الابن الذكر.

قُدّر عدد الروايات الصّادرة بين 1920 و1950م بـ"12 رواية"، عالجت قضايا الهوية والمشاكل الاجتماعية الناتجة عن السياسة الاستعمارية، مثل تعاطي الخمور ولعب القمار، وهي من العادات الدّخيلة التي أدخلها المعمّرون ونشروها وسط الجزائريين، باستثناء روايتين (13): رواية إدريس لعللي الحمّامي التي صدرت في 1948م، وتُصوّر وقائع ثورة الرّيف المغربي بقيادة الخطّابي والتي شارك فيها الحمّامي شخصيًا، ورواية "البّيك" (14) لمالك بن نبي في نفس السّنة (1948م) وتعالج موضوع الحج وتندرج في سياق شروط التّهمّة.

لقد كانت الروايات الأولى التي صدرت قبل مرحلة الأربعينات مُسالمة للأدب الكولونيالي ولم تكن من الأدب الأصيل في شيء، فهي عبارة عن نصوص أدبيّة تُعلي من شأن الفرد الجزائري، وتظهره في صورة إنسانية نبيلة بالرّغم من الفقر والاستعباد، بخلاف الرواية الاستعمارية التي لا تقرّنه إلّا بالتوحّش والتخلّف، ولم تتبلور الرواية المكتوبة بالفرنسية إلّا بعد أحداث الثّامن ماي 1945م أين كانت بدايتها الفعلية.

## 2- نماذج للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الصّادرة ما بين 1946-1954م ووظيفتها في النضال الثقافي:

بعد الحرب العالمية الثانية، وقبل أن تنتهي سنوات الأربعينات، وفي الوقت الذي كان فيه الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللّغة العربية الفصحى باعتبارها من التّراث، ويتمّ تعليمها في أضيّق الحدود، ظهر جيل جديد من الكُتّاب الرّوائيين لديهم الرّوح الوطنية، أمثال مولود فرعون، محمّد ديب، مالك بن نبي، مولود معمري، وغيرهم، وجدوا أنفسهم أمام خيار واحد هو الكتابة باللّغة التي يتقنونها، فأعطوا نظرة واضحة عن خصائص الفرد الجزائري والجماعة من خلال رواياتهم، وتطرّقوا إلى آلام الشّعب وجروحه ومعاناته من الفقر والعري والجهل وسوء المعيشة، فقارعوا بذلك المستعمر بأقلامهم رغم أنّ أغلبهم كانوا يكتبون بالفرنسية، ولذلك تقدّمت الرواية المكتوبة بالفرنسية على المكتوبة بالعربية من حيث الظّهور والتطوّر (15).

توجّه أولئك المبدعون الجزائريون للقارئ باللّغة الفرنسية، لغة فيكتور هيغو وفولتير، فلم يصل من إنتاجهم للقارئ العربي سوى القليل مما كتبوه، هذه القلّة التي أفسد بعضها التّرجمات وتحمل بعضها الآخر سوء التّسويق ليُحال بعيدا عن المشهد، وقد انتقينا في هذه الدّراسة عيّنة من الكُتّاب الجزائريين الذين ألفوا باللّغة الفرنسية، لوزنهم الكبير على السّاحة الأدبية من خلال الإشارة إلى بعض روايات مولود فرعون خاصّةً

روايته "ابن الفقير"، ومحمد ديب صاحب رواية الثلاثية المشهورة، ورواية الربوة المنسية لمولود معمري، ومدى تأثير هذه الروايات في مشهد الحراك الثقافي للحركة الوطنية والقضية الوطنية بوجه عام.

## 1-2- روايات مولود فرعون(16):

ألهمت حياة مولود فرعون الكاتب خوسي ليزيني حيث تطرق في مؤلفه "مولود فرعون الكاتب المناضل" إلى حياة هذا الكاتب الفذ من خلال سرد قصة حياته واستعراض مذكرات عن الكاتب ورسائل شخصية له. ابن الفقير هذا الذي لم يمنعه واقعه من التعلّم، ولعل روايته الشهيرة "ابن الفقير" (Le fils du pauvre) (17)، الصادرة سنة 1950م، التي هي أقرب إلى السيرة الذاتية خير ما أمكنه أن يعبر به من خلالها عن نفسه وعن الوضع الذي عاشه في كنف أسرة فقيرة ومنطقة جبلية نائية في بلاد القبائل الكبرى، والأنكى تحت الاستعمار الفرنسي الغاشم. ثم جاءت روايته الثانية "الأرض والدم" La Terre et le sang الصادرة سنة 1953م، ثم الرواية الثالثة "الدروب الشاقة" الصادرة سنة 1957م.

تطوّرت هذه الروايات لظلم الاستعمار وسعيه لطمس هوية الشعب الجزائري، وقد ركّز فرعون في عمله الشهير على وضع منطقة القبائل تحت المجهر، حيث نقل عاداتها وتقاليدها ومآسها بأوصاف أدبية متناهية الدقة، وعلى عكس باقي الروائيين فإنّ مولود فرعون لم يسمح لعجزه أمام اللغة العربية أن يُكبّل نضاله، فقد استمرّ قلمه يكتب بحروف فرنسية لأجل قضيته الأولى والأخيرة "الجزائر"، ومن أقواله الشهيرة: "أكتب بالفرنسية، وأتكلّم بالفرنسية، لأقول للفرنسيين أنّي لست فرنسيّاً" (18).

## 2-2- محمد ديب (19) (الثلاثية):

وصف محمد ديب بأبي الرواية الجزائرية المعاصرة بلا منازع (20)، وقد برز نجاحه في بعث حياة العديد من الجزائريين من خلال أعماله الأدبية، وهو الذي استغرق عهده نصف قرن من العطاء الأدبي الغزير، ففي مطلع الخمسينات من القرن الماضي كان ديب قد كتب جزأين من ثلاثيته الشهيرة "الجزائر" (21)، هما: الدار الكبيرة والحريق.

تعدّ ثلاثية محمد ديب من روائع الأدب الجزائري الخالدة رسم من خلالها، الكاتب الجزائري الكبير محمد ديب، صورة واقعية عن البؤس والحرمان الذي عاشه الشعب الجزائري زمن الاستعمار، وعن روح الرّفص التي كان يحملها بذرة ستتمو لتتفجّر ثورة مسلحة.

تشكّلت صورة الجزائر في الثلاثية من خلال شخوصها الذين أذلّهم المستعمر وسلبهم كرامتهم وإنسانيتهم وأراضهم ليصبحوا أجراء في أراضهم، إضافة إلى سياسة التّفكير التي مارسها المستعمر على الشعب الجزائري، والتي عبّر عنها ديب بالخبز إذ تكون الشخصيات في رحلة بحث عن الخبز، أو الجوع بمفهومه القريب والبعيد.

تجري أحداث الرواية في الجزء الأول "الدار الكبيرة" La Grande Maison بإحدى دور مدينة تلمسان وهي دار سبيطار التي تقطنها العديد من العائلات الجزائرية، ويستهل روايته بجملة "أعطني قطعة خبز"، ولعل ما يميّز هذه الرواية هو الأسلوب الواضح والتعبير الدقيق للمعاناة اليومية التي عاشتها العائلة الجزائرية المجسدة في الدار الكبيرة (دار سبيطار) خلال حقبة الاحتلال الفرنسي، إذ ترسم الرواية الصادرة سنة 1952م أسرة أرهقها الجوع، ومصير الأطفال الجزائريين الممثل في الحرمان منذ نعومة أظافرهم، يعرض فيها ديب شخصية الطفل عمر كلون من ألوان المأساة في دار سبيطار، دون أي تلميح منه لارتياحه المدرسة القرآنية وكأنه يفضل خيار التّضحية بالمدرسة القرآنية إذا اقتضت الأزمة المالية التّضحية بإحدى المدرستين.

نظرا لأهمية الرواية والصدى الذي خلفته فقد نشرتها صحيفة "لوسوي" الفرنسية، ونفذت طبعها الأولى بعد شهر واحد، ولعلّ تلك الصّورة التي رسمها الكاتب الكبير محمد ديب في روايته الخالدة، والتي كتبها بلغة المستعمر بأسلوب روائي يحمل في طياته أبعادا مناهضة للسياسة العنصرية الفرنسية ضدّ الجزائريين، كانت شهادة مؤلمة أطلع عليها الجزائريون والفرنسيون على حدّ سواء.

أمّا رواية "الحريق" L'incendie (الجزء الثاني)، فقد ظهرت سنة 1954م (22)، وفيها انتقل ديب إلى عالم الرّيف، حيث ينقلنا إلى عالم الفلاحين بقرية مجاورة لتلمسان وهي بني بوربلان، ليكون شاهدا على حالة الفقر لدى الفلاحين أيضا، وفي هذا الجزء يكبر الطّفل عمر (وهو شخصية ممتدة من أعمال ديب) ويذهب للعمل مع الفلاحين، وهنا تبرز أيضا مشكلة الجوع، خصوصا بعد أن أحرق الفرنسيون أكواخ الفلاحين وطرّدوا عمر، فيصوّر ديب هذه المرة معاناة الرجال مع الجوع والإرهاق في أعمالهم التي لا تسدّ الرّمق (23).

كان محمد ديب أديبا إنسانيا بامتياز، ركّز في رواياته على استرجاع الشّعب الجزائري لحقّه في الكرامة أكثر من أي شيء آخر، فكانت روايتي "الدار الكبيرة" و"الحريق" بمثابة المرآة العاكسة التي تظهر وحشية وقساوة الممارسات الفرنسية اللّإنسانية في حق الجزائريين، فقد حاول إبراز موقفه من ظروف الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية راصداً الحالة الاجتماعية والسياسية آنذاك، ورغم اتخاذه من الفرنسية وسيلة للتّعبير، إلّا أن روح الثّلاثية كانت عربيّة، لأنّ الثّلاثية وإن توسّلت الفرنسية لغة، فهي في المنطق وفي روحية التعبير رواية عربيّة، مؤكّداً أنّ الفرنسية التي كتب بها ليست انتماءً لفرنسا، بل هي مجرد وسيلة تعبير، استطاع من خلالها تصوير ظروف الجزائر في فترة حالكة من تاريخها تحت وطأة الاستعمار الفرنسي بكل جبروته.

ترجمت الثّلاثية إلى اللّغة العربيّة بواسطة أحد أكبر المترجمين العرب في العصر الحديث المترجم السّوري الرّاحل "محمد سامي الدروبي"، ونجحت التّرجمة نجاحا كبيرا في الوطن العربي، بحيث تعدّدت طبعاتها بين عدد معتبر من دور النّشر العربيّة، وتكمن أهميّة العمل المترجم من طرف سامي الدروبي، فضلا عن قيمة التّرجمة ومكانة المترجم، في المقدّمة التي تشبه الوثيقة التي كتبها سامي الدروبي المؤرخة سنة 1960م، والتي تتضمّن بعض المقاطع من رسالة بعثها محمد ديب بنفسه للدروبي، وهو ما يعني حرص صاحب الثّلاثية على التّرجمة العربيّة

لثلاثيته، وترحيبه بالمترجم السوري بالذات، وفيها عبّر الدّروبي عن الرواية بالقول: "...لا عجب أن يكون أبرز وجوه المأساة التي يحسّها أدباء الجزائر أنّهم محمولون على الكتابة بلغة ليست هي اللّغة التي خلقت لتعبّر عنهم، وليس يعزّهم عن ذلك أن يكونوا قابضين على ناصية هذه اللّغة الفرنسية، وإنّما بين أيديهم طوعية تشبه أن تكون طوعية المذلة" (24). وتحوّلت الثلاثية إلى مسلسل تلفزيوني ناجح، من إخراج "مصطفى بديع"، فعلى الرّغم من ضعف إمكانيات التّلفزيون الجزائري يومها، لكن المسلسل حقّق نجاحًا جماهيريًا يكاد لم يحقّقه أيّ مسلسل في تاريخ التّلفزيون الجزائري.

### 2-3- مولود معمري (25) (رواية الربوة المنسية La Colline Oubliée):

صدرت الرواية سنة 1952م، عالجت الأوضاع الاجتماعية في منطقة القبائل، وتطرّقت للعادات والتقاليد وبعض الانحرافات في المجتمع، كما أشارت إلى النضال السياسي والنقابي، وتعرّضت الرواية لنقد لاذع من قبل بعض الوطنيين من تيار حزب حركة الانتصار للحريّات الديمقراطية لتركيز صاحبها على الأوضاع الاجتماعية والتغافل عن الأمور المتعلقة بالهويّة الوطنية والنضال التحرّري (26)، إذ يذكر محمد حربي في مذكراته أنّ مناضلي حركة الانتصار يعتبرون الإبداع الفنّي والأدبي فقط كأداة للكفاح السياسي، ويضيف أنّه مع كُتاب مثل الشريف ساحلي ومصطفى الأشرف يعتبرون أنّ الأكثر أهميّة في أيّ عمل أدبي هو القضية التي يخدمها (27)، وفيما يتعلّق بهجماتهم على مولود معمري، قال: "لقد تعرّض مولود معمري إلى هجماتنا في 1952م في روايته الربوة المنسية، كانت تحفّظتنا لا تتعلّق حول النّوعية الأدبية للعمل، فالذي يهّمنا هو ما يقول وما يفكّر به ممثّلو الاستعمار" (28). أمّا رواية "العصا والأفيون" L'opium et le bâton التي نشرت عام 1955م، فقد مثّلت هي الأخرى ظاهرة بالغة الأهميّة في الرواية الجزائرية باللّسان الفرنسي.

تميّزت أعمال الرّوائيين الجزائريين بشكل عام بمساريتها للوقائع المعاشة سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، ورغم أنّ هؤلاء ركّزوا في كتاباتهم على قضايا المجتمع الجزائري بصفة كبيرة، وهو ما جعلهم يُتهمون بخدمة الاستعمار، فإنّ ما ميّز أعمالهم هو بروز الوعي بالهويّة الوطنية الجزائرية والروح الوطنية ورفض الاستعمار (29)، من خلال تصويرهم بعمق للمعاناة النّفسية التي عاشها الفرد الجزائري، إذ يصف الدّارسون للرواية الجزائرية النّاطقة بالفرنسية مرحلة ما بين 1946-1954م بمرحلة الاحتجاج والقلق والبحث عن الذات (30)، شكّل فيها الرّوائيون من خلال كتاباتهم صورة صادقة عن واقع الجزائريين ومكنوناتهم وتطلّعاتهم للاستقلال والحرية، رغم أنّ المرحوم سعد الله يرى أنّ الرواية المكتوبة باللّغة الفرنسية لم ترق إلى مستوى النضال والتّضحيات الجزائرية، وأنّها عبّرت عن تجارب شخصية لأولئك الرّوائيين عاشوها في مساقط رؤوسهم تحت نير الاستعمار.

## خاتمة:

- من خلال دراسة التّماذج السّابقة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، يمكن أن نستخلص بعض النتائج، من ضمنها:
- أنّ الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ليست من الأدب الفرنسي في شيء، وإنّما هي أدب مضطّر إلى استعارة اللّسان الفرنسي لظروف يعلمها الفرنسيون قبل غيرهم.
  - استطاع الرّوائي الجزائري أن يعطي للمتن الرّوائي المكتوب باللّغة الفرنسية هوية وطنية ومحليّة، ودافع عن قيمه الجزائرية والإسلامية والعربية.
  - حملت الرواية المكتوبة بالفرنسية الشّخصية والروح الوطنية في دفاع الرّوائيين عن الماضي والتّقاليد الجزائرية الخاصّة، تأييدا لعروبة الرواية الجزائرية.
  - ساهمت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في التصديّ لسياسة الاحتلال الجهنّمية، فكانت من الأساليب المهمّة في الحفاظ على مقوّمات الهوية الوطنية الجزائرية، بظهور نخبة من الأدباء الدّين ساهموا في توعية الشّعب وتبصيره وثقيفه بمآله، مُسبّبين بذلك وجعًا حادًا للإدارة الاستعمارية.
  - زعزعت أعمال الرّوائيين الجزائريين معاقل الاستيطان الفرنسي، لأنّ شجاعة تلك الأقلام تكمن في يقينها بشرعية قضيتها ومصيرها ومستقبلها، من خلال إبراز مغالطات الاستعمار ووعدده الكاذبة بسلاح لغته وبمنطقه وفكره الغربي.

## الهوامش

<sup>1</sup> أمانة بلعلي وآخرون، الرواية الجزائرية والسّينما، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2015، ص 10.

<sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 43.

<sup>3</sup> الوناس الحواس، مظاهر المقاومة الثقافيّة في الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2017/2018، ص 315.

<sup>4</sup> أولى الروايات الاستعمارية الفرنسية الصّادرة في الجزائر كانت لـ "لويس برتران" سنة 1898 م بعنوان "دمّ الأجناس"، وقد تناولت أغلب الروايات الاستعمارية موضوعات الفقر والبؤس عند الأطفال، وحاول هؤلاء الكتّاب إظهار تفوّق الحضارة الأوروبية وتخلّف المسلمين الجزائريين، وزمحاولة نشر التّفرة بين الجزائريين. للاستزادة يُنظر: مسعودة مرابط يحياي، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين: حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 139 وما بعدها.

<sup>5</sup> الحاج حمو عبد القادر: من مواليد مدينة مليانة سنة 1891 م، اشتغل بالتّعليم، كما كان إماما بالمسجد الكبير بمدينة الجزائر، و مترجما لدى محاكم مدينة الرّمثي بوهران. ينحدر من عائلة بوجوازية فأبوه كان قاضيا في مليانة وأخوه كان قايد. توفي سنة 1953 م. للمزيد حوله يُنظر:

مسعودة يحياي، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية... المرجع نفسه، ص 529.

<sup>6</sup> الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 305-306.

- <sup>7</sup> ابن البشير، "عائشة بوزبيل"، المنار، ع 03، 09 ماي 1952، ص 02.
- <sup>8</sup> عبد الحميد مهري، "أدياؤنا لا يؤمنون برسالة أدبية"، المنار، ع 15، 09 جانفي 1953، ص 02.
- <sup>9</sup> مولود قاسم، "حول مالهم لا ينطقون، ثقوا بأنفسكم يا قوم"، المنار، ع 18، 27 فيفري 1953، ص 03.
- 10 أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياها، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص 74.
- 11- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية: دراسة سوسيو نقدية، دار الميم للنشر، الجزائر، ص 37.
- 12- من مواليد بلدية غيلاس بنواحي سطيف، فقدت والديها في سن مبكرة، درست بفرنسا ثم عادت إلى الجزائر، وقدمت بعض كتاباتها كأول روائية جزائرية اهتمت بالمسائل الاجتماعية والتربوية، خاصة الوضع الاجتماعي للمرأة ومسألة تعليم الجزائريين منذ 1943م، كما أنشأت مجلة نسوية بعنوان "action". يُنظر: الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 308.
- 13- المرجع نفسه، ص 309.
- 14- مالك بن نبي، لبيك، تر: زيدان خوليف، ط1، دار القدس، سوريا، 2009.
- 15- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013، ص 39.
- 16- من مواليد مارس 1913م بأعالي جبال القبائل الكبرى بقرية تيزي هيبيل، درس بالمدرسة الفرنسية بالمنطقة، ثم بتيزي وزو، ثم انتقل إلى دار المعلمين ببوزريعة وتخرج منها سنة 1935م. باشر عمله كمعلم بالقرب من قريته، ثم مديرا بنفس المدرسة سنة 1946م وبعدها مديرا لإكمالية فور ناسيونال بالأرياء ناث إيراثن سنة 1952م، ثم مديرا لمدرسة صالحي بالعاصمة، ثم مفتشا للمراكز الاجتماعية سنة 1960م. من منصب التعليم إلى الانخراط في الصف النقابي كفاح فرعون ضد التمييز العنصري الذي كان يعاني منه أبناء جلدته، إلى أن اغتالته يد منظمة الجيش السري الفرنسي في 15 مارس 1962م، ليرحل مخلصا للقاء الجزائري وغير الجزائري مجموعة كبيرة من الأعمال الأدبية، فمن بين أعمال الكاتب الشهيرة إضافة إلى ابن الفقير نجد له: الدروب الوعرة، عيد الميلاد، ديوان رسائل إلى الأصدقاء، وهذا الأخير فيه جزء من مراسلاته مع أساتذته وأدباء أمثال إيمانويل روبليس وألبير كامو. يُنظر: الحواس الوناس، المرجع السابق، ص 310.
- 17- Mouloud Feraoun, *Le file du pauvre*, éditions talantikit, béjaia, 2009.
- 18- الحواس الوناس، المرجع السابق، ص 310.
- 19- محمد ديب كاتب وروائي جزائري كبير ولد بالغرب الجزائري بمدينة تلمسان سنة 1920م، عاش طفولته فقيرا ثم يتيما بعد أن توفي والده وهو لا يزال في العاشرة من عمره، لكن ذلك لم يوقف عزمه على متابعة دراسته بجد وكد في مسقط رأسه، ولما بلغ سن التاسعة عشرة اشتغل بالتعليم ثم انتقل سنة 1942م للعمل في السكك الحديدية، ثم عمل محاسبا ثم مترجما، ثم مصمما للديكور، ثم حرفيا في النسيج يصنع الزرابي. وبعد أن تنقل في كل هذه المهن انتقل سنة 1948م إلى العاصمة الجزائرية والتقى هناك بالكاتبين الفرنسيين (ألبير كامو) و(مولود فرعون) وغيرهم ليزداد اهتمامه بالكتابة والتأليف، ومنذ سنة 1950م بدأ في العمل الصحفي واشتغل بجريدة "الجزائر الجمهورية" رفقة الكاتب "كاتب ياسين". غادر الجزائر في الخمسينيات وبعد ذلك بلدانا ومدنا عدة فمن باريس إلى روما، ومن هلسنكي إلى عواصم أوروبا الشرقية، ثم المغرب عام 1960م، ومع استقلال الجزائر عام 1962م عاد إلى مسقط رأسه تلمسان بالجزائر، وفي سنة 1963م نال في الجزائر جائزة الدولة التقديرية للأداب برفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة، كما نال جائزة الفرنكوفونية عام 1994م من الأكاديمية الفرنسية تنويها بأعماله السردية والشعرية. وبعد أن كتب الرواية والقصة والشعر والمسرحية وعاش أزيد من 80 سنة توفي يوم 2 مايو / أيار 2003م بسان كلو إحدى ضواحي باريس. إضافة إلى ثلاثية ديب الشهيرة في الرواية فقد توالى كتاباته السردية ما بين 1970 و1977م، فنشر ثلاث روايات هي "إله وسط الوحشية" عام 1970م، و"سيد القنص" عام 1973م، و"هابيل" عام 1977م. ترك محمد ديب أكثر من 30 مؤلفا منها 18 رواية أخرى "إذا رغب الشيطان" و"الشجرة ذات القيل" عام 1998، وخمسة دواوين شعرية منها "آه لتكن الحياة" عام 1987م، وأربع مجموعات قصصية منها "الليلة المتوحشة" عام 1997م، وثلاث مسرحيات أخرى "ألف مرحى لمومس" عام 1980م. إلى جانب ترجمته للكثير من الأعمال باللغة الفنلندية إلى الفرنسية. يُنظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص ص 98-99.
- 20- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1954-1962)، ج 10، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 160.
- 21- ثلاثية محمد ديب: الدار الكبيرة، الحريق، النول (المنسج).
- 22- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص 196.
- 23- Le Jeune Musulman, N: 36, 30 juillet 1954. "L'incendie" Mohammed Arab,

- 24- محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: محمد سامي الدرومي، روايات الهلال، الجزائر، 1970، ص 10.
- 25- من مواليد سنة 1917 م بني بني بتزي وزو، درس المرحلة الابتدائية بمسقط رأسه، والمرحلة الثانوية بثنوية بجو بالعاصمة، عمل أستاذا في مدينتي المدينة والجزائر في الثانوي، ثم أستاذا جامعيا بجامعة الجزائر بعد الاستقلال، أصدر العديد من الروايات منها: الربوة المنسية (1952م)، نوم العدل (1955م)، العصا والأفيون (1965م)، العبور (1982م)، وله العديد من المسرحيات ودراسات حول الأمازيغية وترجمات عديدة للأدب الشعبي القبائلي. توفي سنة 1989 م. يُنظر: أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية: دراسة أدبية، دار الساحل، الجزائر، 2013، ص 338.
- Mohamed Harbi, *Une vie debout : Mémoire politique (1945-1962)*, T 01, édition casbah, Alger, 2001, p 100.-26
- <sup>1</sup> Mohamed Harbi, op.cit, p 100.
- Ibid.-27
- 28- عبد المجيد حنون، المرجع السابق، ص 83.
- 29- الحواس الوناس، المرجع السابق، ص 311.
- 30- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المرجع السابق، ص 43.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- آمنة بلعلي وآخرون، الرواية الجزائرية والسينما، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، 2015.
- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1954-1962)، ج 10، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2007.
- أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية: دراسة أدبية، دار الساحل، الجزائر، 2013.
- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياها، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2013.
- أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية: دراسة سوسيو نقدية، دار الميم للنشر، الجزائر.
- الوناس الحواس، مظاهر المقاومة الثقافية في الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2017/2018.
- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي والفرنسية في الرواية المغاربية، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2013.
- مالك بن نبي، لبك، تر: زيدان خوليف، ط1، دار القدس، سوريا، 2009.
- محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة: محمد سامي الدرومي، روايات الهلال، الجزائر، 1970.
- مسعودة مرابط يحيوي، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في جزائر القرن العشرين: حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- ابن البشير، "عائشة بوزبايل"، المنار، ع 03، 09 ماي 1952.
- عبد الحميد مهري، "أدباؤنا لا يؤمنون برسالة أدبية"، المنار، ع 15، 09 جانفي 1953.
- مولود قاسم، "حول مالهم لا ينطقون، ثقوا بأنفسكم يا قوم"، المنار، ع 18، 27 فيفري 1953.
- Mouloud Feraoun, *Le file du pauvre*, éditions talantikit, Béjaia, 2009.
- , Le Jeune Musulman, N: 36, 30 juillet 1954. "L'incendie" Mohammed Arab,
- Mohamed Harbi, *Une vie debout : Mémoire politique (1945-1962)*, T 01, édition casbah, Alger, 2001